من الآثـار الاقتصـادية للتربية القرآنية

ورقة مقدمة إلى الملتقى الثالث لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة
بعنوان
"الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والمجتمع"
شوال 1427هـ

د. مسفر بن عتيق الدوسري
عضو هيئة التدريس
قسم الاقتصاد- جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

من الآثار الاقتصادية للتربية القرآنية

إن علم الاقتصاد علم يبحث في السلوك الاقتصادي للأفراد والمجتمعات ويهدف إلى توظيف الأمثل لموارد المجتمع بما يحقق أكبر المنافع في ظل أقل التكاليف. وهناك عوامل كثيرة تشكل السلوك الاقتصادي للفرد والمجتمع وتؤثر عليه ويأتي في مقدمتها ما تربى عليه الإنسان فاعتقده حتى صار راسخاً ثابتاً في عقله وقلبه فظهر على جوارحه وأخلاقه سلوكاً وتعاملاً. وإذا تغير سلوك الفرد تغير سلوك المجتمع ولو في الأجل الطويل فما المجتمع إلا أفراداً كونوا أسراً وربوا أجيالاً.

وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت ألستم تقرؤون القرآن؟, كان خلقه القرآن. ولنا فيه صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة {لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كانَ يَرْجُو اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا {21}سورة الأحزاب. ولم يكن الصحابة عليهم رضوان الله يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلمونهن ويعملون بهن, أي يتربون على القرآن مما أثر على أخلاقهم و سلوكهم في مناشط الحياة المختلفة, ومن ضمن ذلك - ولاشك- سلوكهم الاقتصادي. والآثار الاقتصادية للتربية القرآنية كثيرة لا يمكن حصرها لكن لعلنا أن نتطرق إلى جوانب منها, فإن مالا يدرك جله لا يترك كله. روى الأمام أحمد في المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما عال من اقتصد) , وهذا أصل في تعلم الاقتصاد وتربية المسلمين عليه.

المال مال الله:-

إن أول ما ينبغي أن يتربى عليه المجتمع أن المال جميعه لله تعالى والبشر مستخلفون فيه, رزقهم إياه و أذن لهم بالانتفاع به وفق أوامره وشروطه. لم يحصلوا عليه بقوتهم ولا غلبتهم ولا علومهم وجهودهم, قال تعالى: { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ {7} سورة الحديد. وقال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { 13} الجاثية. و قال تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ {53} النحل وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور{ 15} الملك. فحتى وإن عملتم فهو الذي يرزق وما العمل إلا سبباً للرزق وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {29} البقرة. وقال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {26} آل عمران. و قال تعالى: {اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ {26} الرعد. إذاً فالرزق كله بيده يعطيه ويمنعه سبحانه. فمن تربى على مثل آيات القرآن هذه فلا يمكن أن يخالف أمر مالك المال سبحانه وتعالى في ما ينبغي أن يفعله فيه. يقول د. أحمد يوسف في كتابه القيم الإسلامية:- "إن حق البشر في الانتفاع بهذا المال حق مقيد بكونه في منفعة مشروعة, ولذلك ليس من حق صاحب المال أن يستثمره أو أن

يستعمله فيما يعود عليه أو على الجماعة بالضرر, أو حتى ما يخالف الشرع وإن كان لا يدرك لذلك حكمة. ومن ثم حرم الله الغصب, والغش, والاحتكار, والسرقة, والترف. فالإنسان مالك ملكية مقيدة, ولذلك ليس من حقه أن ينفق هذا المال كما يريد على شهواته وملذاته بل يأكل ويشرب في غير سرف ويلبس في غير خيلاء. وينفق في الأمور المشروعة في توسط واعتدال"(2).

بل إن طاعة الله جل و علا تكون سبباً لسعة رزقه و مزيد عطائه, في حين أن معصيته تكون سبباً لغضبه و عذابه و لمنع القطر و ضيق العيش و قلة الرزق, قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ {96} الأعراف. و قال تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا {10}يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا {11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا{12}نوح. و قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {3} الطلاق. أما عند المعصية فقد قال تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ {112}النحل. و قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124}طه. و قال تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {130}الأعراف. بل إنه تعالى يعذب بالأموال, قال تعالى : { فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {55} التوبة.

الزكاة والربا:-

الزكاة ركن من أركان الإسلام وهي قرينة الصلاة في كتاب الله, يكفر جاحدها ويقاتل ما نعها ولا تقوم الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي إلا بها وذلك لعظم دورها ونبيل أهدافها, وإلى التقصير فيها ترجع كثير من المشكلات الاقتصاد يه في المجتمعات المسلمة اليوم. قال الله تعالى يصف أهل الرشاد: { وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {4} المؤمنون. ويقول تعالى: {لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا {162} النساء. ويقول تعالى آمراً بها : { وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72} في خمسة مواضع من كتابه بهذه الصيغة : 43 البقرة, 110 البقرة, 77 النساء, 56 النور, 20 المزمل إضافة إلى آيات أخرى كثيرة مما يستدل به على عظيم شأنها.

أما الربا فمن أعظم ما نهى الله عنه في كتابه العظيم, بعد الشرك, قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {275} البقرة . وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {278} البقرة.

إذا فالربا محرم ويناقض كمال الإيمان وحقيقة التقوى ومتوعد أهله بالخلود في النار و بالحرب من الله, وهل يفلح من حاربه الله تعالى؟! كما سماه ظلماً.

لكن ما يلفت الانتباه هو ربطه تعالى بين الزكاة والصدقات و بين الربا في قوله تعالى : { يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ {276} البقرة. وفي قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ {39}الروم.

فالدارس لاقتصاديات كل من الزكاة والربا يجد بينهما تناقضاً عجيباً في ما يتعلق بآثارهما الاقتصادية على المجتمعات التي تطبقهما, بل والآثار الاجتماعية كذلك. فقد أجمع الاقتصاديون المختصون مسلمهم و كافرهم, قديمهم وحديثهم, كبيرهم وصغيرهم, على أن ارتفاع الفوائد الربوية في أي اقتصاد يؤدي إلى تخفيض الاستثمارات في ذلك الاقتصاد. وإذا كبر واستمر انخفاض الاستثمارات انخفض الإنتاج و زادت البطالة و انخفضت الدخول و ارتفعت الأسعار و اصبح الناس في ضيق و شدة، هذه من آثار الربا إذا انتشر في المجتمعات، أفلا تذكر هذه الآثار بقول الله تعالى: {يمحق الله الربا}؟. و ذلك أن النظام الربوي يعاقب مختلف المستثمرين من زراع و صناع و تجار, فعندما يقترضون بالربا ليمولوا أنشطتهم فإنه ولابد أن يخسر بعضهم و لكن لا يشاركه في الخسارة أحد بل يتحملها وحده و يكون عليه أن يرد أصل القرض مضافاً إليه فوائده الربوية حتى و لو أتى على كل ما

يملك فتركه في أدنى درجات الفقر, مما يجعل الكثيرون يحجمون عن الاستثمار ابتداءً و خاصة عند ارتفاع الفوائد لأن معناها انخفاض عوائد استثمارهم خاصة وإن المرابي يأخذ زبدة جهودهم بلا وجه حق بل ويأخذ أكثر مما يبقى لهم, وهو يربح باستمرار بينما هم عرضة للربح والخسارة, مع أنهم هم الذين يمارسون الإنتاج تحت الشمس وشدة البرد وضغوط العمل.إضافة إلى تعرضهم لخطر الإفلاس بل والفقر. كما أن الربا يركز المال في طبقة تصغر باستمرار على حساب المنتجين والفقراء لأن من يربح دائماً تتحول له الأموال في الأجل الطويل. بينما نجد الزكاة تأخذ الأموال ممن يكتنزها وميله للادخار أكبر منه للاستهلاك, ليعطيها أولئك الذين ميلهم للاستهلاك كبير من ذوي الدخول المنخفضة من الفقراء والمساكين الذين ينفقونها على ضرورياتهم وحاجياتهم فتدور المصانع ويزيد الاستثمار وتتولد الدخول وتنخفض البطالة ويعم الرخاء, أفلا يذكر هذا بقول الله تعالى: { وَيُرْبِي الصَّدَقَات} البقرة. أنها الآثار الاقتصادية لمن آمن بالقرآن وتربى عليه وطبقه.

أضف إلى ذلك أن انتشار الربا ينشر معه البغضاء والتحاسد لأن المرابي يمتص عرق العامل المسكين بلا حق مما يثير الأحقاد وينمي الخلافات ويمحق البركة ألم يقل محمد صلى الله عليه وسلم:**"إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم"** رواه البخاري.

كما إن الدول التي اقترضت بالربا تعتبر مستعبدة لدائنيها حيث أفراد شعبها يشقون ليذهب أغلب إنتاجهم إلى المؤسسات والدول الدائنة في وضع يطلق عليه الاقتصاديون الاستعمار الحديث

فهو مرض خطير جداً ميئوس منه يتفاقم مع الزمن وتتعاظم مديونيته أضعافاً مضاعفه. ومقارنة اقتصاديات الزكاة باقتصاديات الربا يطول لكن لعل هذه الإشارة تكفي.

منهج المالك الحقيقي للمال سبحانه وتعالى فيه:-

إن للمال قوة تأثير كبيرة على نفوس الناس لا يمكن أن يضبطها ويكبح جماحها إلا تعاليم الإسلام وتربية القرآن , قال تعالى: { كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى {6} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى {7}العلق. قال تعالى: { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ {27}الشورى. و قال تعالى: {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {21} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {23} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {24} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {25}المعارج. فقد ربط الإسلام بين الإنفاق والدين والتقوى والأخلاق والاخوة والتكافل ليسود في أثناء التعامل بالمال الصدق والأمانة والوفاء وحسن المعاملة والعدل وعدم الغش والاستغلال للضعفاء إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة. بل جعل الآخرة أهم مقاصد الإنفاق ولم يقصره على الاستمتاع في الدنيا, قال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {77} القصص. فالإسلام دين عملي واقعي يوازن بين مطالب الروح والجسد والدين والدنيا بميزان قسط, يضبط إنفاق المال

فلا يذهب إلا للمصلحة ويعطي الحرية المنضبطة بالقيم الأخلاقية والحلال والحرام. وتحقيق العدالة, فهو وسط بين النظام الذي يخضع لدوافع مصلحة الفرد بلا قيد والنظام الذي يضحي بمصلحة الفرد ولا يعترف بها.

فنرى في تحصيل المال وجوب كونه من طرق مباحة غير ضارة كالربا والغش ونحوها. فقد ضبط مصادر الإيرادات كما ضبط مخارج الانفاقات فلا يجوز الإنفاق إلا حسب الأولويات و الأهمية.

ضوابط الإنفاق:-

من المعلوم أن السلع والخدمات التي ينفق عليها الناس لا تخرج عن خمس مجموعات:

1- الضروريات:- وهي ما يؤدي فقدها إلى ضرر كبير على الكليات الخمس: الدين والعرض والنفس والعقل والمال. كالغذاء- على سبيل المثال- لأن فقده يودي بحياة الناس.
2- الحاجيات:- وفقدها يجعل الحياة شاقة وعسيرة وإن لم يؤثر كثيراً على الكليات الخمس مثل الكهرباء ففقدها يجعل الحياة عسيرة.
3- الكماليات أو التحسينيات:- وتوفرها يجعل الحياة أكثر راحة ويسر، مثل فتح الأبواب عن بعد و مثل المراكب الفارهة ونحوها.
4- الاسرافيات:- وهي إنفاق على مباح في الأصل، لكنه ذهب هدراً فلم يحقق منفعة لأحد ومثاله فوائض الولائم، فالطعام مباح ولكن لا يجوز الإسراف فيه حتى يرمى ولا ينتفع به.

5-التبذيريات:- وهي أي إنفاق على ضار مهما صغر حجمه ومثال ذلك الإنفاق على التدخين وعلى الإعلام الهابط ونحو ذلك مما يضر الفرد والمجتمع.

والمسلم يرتب إنفاقه حسب أهمية ومنفعة السلع والخدمات, ويفترض في الراشد أن يرسل إنفاقه إلى الضروريات قبل الحاجيات ثم لا يغرق في الكماليات ويتوقف كليةً عن الإسرافيات والتبذيريات. فقد أحل الله له الطيبات و حرم عليه الخبائث و أمره بالاعتدال والقصد قال الله تعالى:{ وَيُحِلُّ لَهُمُ ا لطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ }الأعراف. و قال تعالى:{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا {29}الإسراء. وقال جل وعلا عن الإسراف: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا {67}الفرقان. وقال تعالى: {يا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {31}الأعراف. و قال عن التبذير: { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا {26} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا {27} الإسراء.

عدالة توزيع الأموال:-

نجد أنه في النظام الاقتصادي الرأسمالي البحت لا يعطى من عوائد الإنتاج إلا من شارك في الإنتاج بملكية أحد عناصر الإنتاج كالعمل و الأرض و الآلات و نحوها، و من لا يشارك أو لا يستطيع أن يشارك فإنه ليس له من العوائد شيء، مهما كانت حاجته و ذلك في ظل

الرأسمالية البحتة. و الذين لا يشاركون في الإنتاج يمثلون نسبة كبيرة من أفراد المجتمع، و منهم كبار السن و المرضى و المعاقين و أغلب النساء و الطلاب فليس على الشخص في ظل الرأسمالية أي التزامات تجبره على الإنفاق لا على ولده و لا والده و لا زوجه و لا أهله فضلاً عن غيرهم، و لهذا فمهما كثرت الثروات في أي مجتمع رأسمالي فلابد أن ينتشر فيه الفقر في ظل نظام التوزيع هذا. أما في ظل النظام الشيوعي البحت فإن عوائد الإنتاج توزع بالتساوي –نظرياً على الأقل- على الجميع، سواء في ذلك من شارك في الإنتاج أو لم يشارك و كان نائماً لم يعمل، و في هذا خلاف للفطرة التي يناسبها مكافأة المجتهد و معاقبة الكسول، و لهذا ينتشر الفقر أيضاً بشكل كبير في ظل نظام الاقتصاد الشيوعي، فإنه أيضاً يحوي مثل هذه الأنظمة التي تؤصل للفقر و توطنه. أما في ظل نظام الاقتصاد الإسلامي فإنه أولاً أمر بالعدل و الإحسان ووضع حقوقاً و التزامات للضعفاء و الأقربين فهي حقوق و واجبات و ليست تفضلاً و لا منة من بشر، قال الله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} النحل. قال تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا{26}الإسراء. قال تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {60}التوبة. قال تعالى: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {19}

الذاريات. و أمر بالعدل في التعامل فقال جل وعلا: {28} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا {29} النساء. و قال تعالى : { فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {85}الأعراف. و قال تعالى: وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ {1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2}وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ {3}المطففين. المسلم يحصل على عوائد الإنتاج الذي شارك فيه بملكية عناصر الإنتاج و لكنه يختلف عن الرأسماليين بأن عليه التزامات النفقة لزوجه وولده ووالديه و غيرهم من أقاربه، ثم عليه التزامات الزكاة لإخوانه العاجزين عن العمل أو الذين لا يحصلون على ما يكفيهم و نحوهم. و هذا يشيع التراحم و التكافل بين أفراد المجتمع المسلم. كما أن العامل في المجتمع المسلم يختلف عن العامل في المجتمع الشيوعي في أنه يحصل على مقابل جهوده حيث يكافأ كلما اجتهد و ينقص دخله كلما كسل.

و من ضمن نظام العدل في الإسلام و الاعتراف بالفطرة الإنسانية يقر الإسلام التفاوت بين الناس من الناحية الاقتصادية فقد وزع الله الأرزاق بين الناس بطريقة غير متساوية لحكمة شاءها جل و علا قال تعالى: { وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ {71} النحل. و قال تعالى:{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم

بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ {32} الزخرف. فلو كان الناس متساوين في أرزاقهم لما خدم بعضهم بعضاً و لما عمل بعضهم عند بعض، و لكن الإسلام سل سخائم نفوس الفقراء بفرض حق لهم في أموال الأغنياء بل بنشر الأمن الاقتصادي و الاجتماعي وسط المجتمع المسلم، حيث ضمن لكل مسلم حد الكفاف يحصل عليه من عمله أو نفقة قريبه أو من الزكاة و الصدقات التي تجود به نفوس الصالحين، و إذا لم تؤمن له كل هذه حد الكفاف وفره له بيت مال المسلمين، فقد قال الله جل و علا: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا {6} الأحزاب. وعن جَابِرِ بن عَبْدِ الله قالَ: "كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: أنَا أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أوْ ضَيَاعاً فَإلَيّ وَعَلَيّ"سنن أبي داوود. و من الضيعة الأرامل و الأيتام. و لتثبيت هذا الأمن الاقتصادي جاء أيضاً التكافل و التراحم و كون الدية على العاقلة و نظام المواريث و تحريم الربا و نحوها، ليؤدي كل ذلك إلى منع تركز الثروة في أيدٍ قليلة و ليسود التراحم و التكافل و العيش السعيد. يقول أسعد المدني:"و إن نظاماً اقتصادياً هذا شأنه يتحول تلقائياً إلى تكوين خلقي و روحي و تربية نفسية و تزكية، و من أثر هذا النظام و تطبيقه أن يكون المجتمع نظيفاً و سليماً، و خالياً من كل نوع من أنواع الجشع و الشح و البخل و أكل السحت و الاحتكار و هضم حقوق الآخرين، و

امتصاص دماء الفقراء. إن النظام الإسلامي صيانة لاقتصاد البشر من الانحراف و الزلل و الضلال"(3).

من الـدروس الاقتصـادية لنـبي الله يوسف عليه السلام:-

إن المتأمل في قصة الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام التي أوردها الله تعالى في كتابه الكريم سيخرج بدروس اقتصادية غاية في الأهمية يمكن أن يربى عليها الناس و تدرس لطلاب الاقتصاد. و من ذلك ما يتعلق بالتخطيط الاقتصادي طويل المدى لعمارة الأرض و تأمين سبل العيش للناس و حمايتهم بحماية الله من الكوارث و الأزمات، قال تعالى:{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ{61} هود.

و خطة يوسف عليه السلام الاقتصادية استمرت أربعة عشر عاماً و نجحت في تحقيق أهدافها بفضل الله و رحمته قال تعالى: { قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ... {47}يوسف.

أول درس نتعلمه هو أن خطة يوسف عليه السلام ابتدأت بنور الله و علمه و هدايته حيث ساق إليه الرؤيا بعد أن علمه تأويل الرؤى قال تعالى: {... مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا {17}الكهف. و بدون ذلك لم يكن سوى القحط و الشح والدمار والهلاك.

و صدق الشاعر حيث قال:-

إذا لم يكن عون من الله للفتى ** فأول ما يجني عليه اجتهاده

الدرس الثاني أهمية العمل الجاد الدؤوب المستمر بلا عجز و لا كسل لتحقيق الأهداف فقد زرعوا سبع سنين متواصلة لتحقيق ما نسميه اليوم بالأمن الغذائي و الاكتفاء الذاتي{ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ...{47}يوسف. فعملوا بجد للحصول على أعلى عائد ممكن و تحقيق فوائض للتخزين لمقابلة السنين العجاف.

الدرس الثالث الاستعداد الجيد بما يتطلبه الوضع، ومن ذلك التخزين الجيد طويل المدى للمحاصيل بما يتطلبه من مخازن مناسبة حجماً ونوعاً وحراسة وإدارة ومحاسبة وضبطاً. ثم أن خير ما يحفظ الحبوب إبقائها في سنابلها- كما يقول الخبراء- قال تعالى: {... فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ...{47}يوسف.

الدرس الرابع تربية الناس على عدم الإسراف بل والاقتصار على ما يسد الرمق خاصة في أوقات الشدة وهو أمر مطلوب دوماً إلا أنه عند الأزمات آكد، فإن الأمم المرفهة لا تستطيع التحمل والصبر و المصابرة, قال تعالى: { إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ {47} يوسف.

الدرس الخامس شدة الحرص في اختيار المسؤولين, خاصة ذوي المسؤوليات الكبيرة التي تمس حياة الناس والتثبت من أهليتهم وفق مواصفات الأمانة لئلا يخونوا والقوة لئلا يضعفوا قال تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ {54} يوسف، قالها بعد أن تأكد من مؤهلاته حيث

وجده أميناً, حسن التصرف ذو عقل وصبر وجلد وفوق كل ذلك عليم. وقد ذكرت مواصفات العامل المسؤول أيضاً ابنة الرجل الصالح حين قالت لأبيها:{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ {26} القصص.

وأخيراً: لا بد من تحمل المسؤولية وإخلاص النية من قبل القادرين، فإذا لم يتحملها الكفء المكين الأمين، فلمن تترك؟! وذلك أن الملك إنما أراد أن يستخلصه لنفسه ولكن يوسف عليه السلام دله إلى ما يناسب مؤهلاته من أعمال رغم عظم مسؤوليتها{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ{55} يوسف. وهو طريق عظيم النفع كثير الأجر لمن وجد في نفسه القوة والأهلية ووثق من نيته وإخلاصها لله، بعيداً عن أهواء النفس وأطماعها الدنيوية, وكان من الذين{ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ{83}القصص. إنما يريدون الله واليوم الآخر.

إن القرآن بقيمه الفاضلة ومثله العليا جاء من عند الله تعالى لإسعاد البشر جميعاً في الدنيا والآخرة, وقد طبقه السلف الصالح فسادوا به الدنيا, ولن تفلح البشرية اليوم إلا بالعودة إليه والتربي عليه، ليصلح اقتصادها وجميع شؤون حياتها. وكلما بعدت عنه بعدت عن السعادة. ومن العجيب أن تستورد الأمة الإسلامية الحلول البشرية الفاشلة وهي أغنى أمه بقيمها وأنظمتها المتكاملة في القرآن والسنة.

بعض *المراجع و الهوامش*

1. القرآن الكريم.
2. أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، دار الثقافة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1410هـ / 1990م، ص21.
3. أسعد المدني، رئيس جمعية علماء الهند، أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع: من البحوث

المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة 1396هـ، إدارة الثقافة و النشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1404هـ / 1984م، ص597.

4. محمود أبو السعود، خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط2، 1388هـ / 1968م.
5. منذر قحف، النصوص الاقتصادية من القرآن و السنة، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، 1415هـ / 1995م.
6. نواف بن صالح الحليسي، المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام، ط3، 1413هـ / 1993م.
7. فايز بن إبراهيم الحبيب، مبادئ الاقتصاد الكلي، ط4، 1421هـ / 2000م.

ملخص

من الآثار

الاقتصادية للتربية القرآنية

إن علم الاقتصاد علم يبحث في السلوك الاقتصادي للأفراد و المجتمعات و يسعى إلى تحقيق أكبر المنافع في ظل أقل التكاليف. كما أن ما يعتقده الشخص من معتقدات راسخة تربى عليها فوقرت في قلبه لاشك أن لها الأثر البالغ في سلوكه و الذي يظهر على تصرفاته. و هذه الورقة تبحث في بعض الآثار الاقتصادية التي تنشأ نتيجة للتربية القرآنية. فمن تعاليم القرآن -على سبيل المثال- أن المال مال الله و البشر مستخلفون فيه ليس إلاّ، و عليه فلا يمكن لمن تربى على القرآن أن يخالف أمر مالك المال سبحانه و تعالى فيما ينبغي أن يفعله فيه.

و نحن نجد في القرآن الكريم أوامر لها آثار اقتصادية كبيرة على الأفراد و المجتمعات، كما نجد مناهي اقتصادية يترتب على عدم التقيد بها آثار اقتصادية سلبية خطيرة. و ستركز الورقة على دراسة بعض الآيات لإظهار:-

- - آثار بعض الأوامر الاقتصادية مثل:-
  - الزكاة.
  - التخطيط الاقتصادي.
  - التكافل و التراحم.
  - مواصفات المسؤول الاقتصادي.

- آثار بعض المناهي الاقتصادية مثل:-
  - الربا.
  - عدم العدالة في التوزيع.
  - الإسراف و التبذير.